الوردة الحجرية

لم تقف شهرة التحف الحجرية الثمينة والمجوهرات المطعمة بالأحجار الكريمة على مناطق استخراج المرمر وحدها، ففي منطقتنا أيضاً كانوا يتقنون هذا الفن، ولكنهم كانوا يعملون على الحجر الأخضر، لأنه كان كثيراً ومن الصنف الأول، فكانوا يصنعون من الحجر الأخضر تحفاً رائعة الجمال ومجوهرات أنيقة.

وفي تلك الفترة كان حرفي اسمه ميخائيل هو الأفضل في مجاله، وكان عجوزاً هرماً. فأمر الإقطاعي أن يضع المشرف تلامذة يتعلمون الحرفة من العجوز ميخائيل. وقال له: فليتعلموا كل شيء حتى أدق التفاصيل.

ولكن العجوز ميخائيل لم يكن معلماً جيداً، وكان يضرب تلاميذه كثيراً ويصرخ عليهم، وكان يقول للمشرف: هذا لا يصلح فعينه غير موهوبة ويده ليست ماهرة، إنه لا ينفع.

ولأن الإقطاعي أمر المشرف بأن ينفذ كل رغبات الحرفي العجوز، فقد كان يقول لميخائيل: حسناً إن كان لا يصلح لهذه الحرفة، سأجلب لك آخر بدلاً عنه... ويذهب مباشرة لجلب ولد آخر.

سمع الأولاد عن هذا العلم... وصاروا يبكون خوفاً من الوقوع في أيدي الجد

ميخائيل. كما أن الآباء والأمهات لم يكونوا راغبين بتعريض أولادهم للعذاب، فصاروا يحاولون عدم إعطاء أولادهم ليعملوا في هذه الحرفة، كما أنها حرفة ضارة بالصحة، فصناعة الحجر الأخضر كلها سموم لجسم الإنسان، ولهذا حاول الأهل تجنيب أولادهم هذه الحرفة.

وبقي المشرف يتذكر أمر الإقطاعي وتابع تقديم التلامذة للجد ميخائيل، وكان الجد ميخائيل كعادته يعذب الصبي قليلاً ثم يعيده إلى المشرف. ويقول: هذا لا يصلح...

وبدأ المشرف ينزعج ويقول: إلى متى ستستمر هذه الحال؟ غير صالح.. غير صالح، فمتى سيصلح إذاً؟ حاول أن تعلم هذا...

وتابع الجد ميخائيل يرد بجوابه المعهود: ماذا يهمني في هذا الأمر، فحتى لو علمته عشر سنوات لن يتعلم هذا الصبي شيئاً... وأي صبي آتيك به هذه المرة؟

أنا لست بحاجة لأحد... ولا أشعر بالملل.

وهكذا جرب العجوز ميخائيل والمشرف عدداً كبيراً من الأولاد، وكانت النتيجة واحدة، فقد كان الأولاد يتعرضون للضرب ولا يفكرون إلا بالهرب، وكان منهم من يخرب قصداً كي يقوم ميخائيل بطرده.

واستمر الوضع على هذه الحال إلى أن وصل الدور إلى الصبي دانيال، الذي كان يتيماً وعمره يقارب الثانية عشرة وربما أكثر بقليل، وكان طويل القامة ونحيل البنية ووجهه جميل وشعره مجعد وعيناه زرقاوان. فأخذوه للعمل في البداية كخادم في بيت السادة، لينفذ الأوامر البسيطة، ولكنه لم يكن موهوباً في هذا المجال. فالصبيان الآخرون كانوا يتميزون بالحيوية في أعمال كهذه، وكلما نفذوا أمراً يعودون ويسألون: "بماذا تأمروننا؟"، بينما دانيال هذا كان يختبئ في زاوية الغرفة، ويحملق في لوحة جدارية ما، أو تحفة ما، ويبقى واقفاً هكذا، فيناديه السادة وهو لا يسمعهم، وكانوا يضربونه في البداية ثم ملوا وقالوا: يا له من صبي هادئ، لن يصبح خادماً جيداً.

ولكنهم لم يرسلوه رغم ذلك إلى المنجم لأنه عمل شاق جداً ولن يصمد حياً أكثر من أسبوع. فوضعه المشرف ليعمل راعياً، وهنا لم ينجح دانيال أيضاً، فهو ولد يحب العمل، ولكنه لا يتقن هذا النوع من الأعمال، ويبدو عليه الشرود والتفكير الدائم. فيجلس ويشرد في أوراق الأعشاب وينسى أمر الأبقار التي تذهب عنه مبتعدة، وقد كان الراعي حنوناً فأشفق على الصبي اليتيم، ولكنه أيضاً كان يعنفه أحياناً ويقول: ما الجدوى منك يا دانيال؟ ستقضي على نفسك وتعرض ظهري العجوز للضرب. إن عملك بهذه الطريقة لا يصلح؟ أخبرني على الأقل بماذا تفكر؟

أنا نفسي يا جدي لا أعرف... فأنا لا أفكر بشيء محدد... إنما شردت قليلاً. فقد رأيت حشرة زرقاء مائلة إلى الرمادي، وتحت أجنحتها منطقة صفراء، والورقة التي تجلس عليها عريضة، وعلى جوانبها مسننات، وأطراف الورقة ذات لون أخضر داكن ووسطها أخضر فاتح، وكأنه تم تلوينها قبل قليل... والحشرة استمرت في تقدمها...

آه يا دانيال ألست أحمقَ؟ فهل من اختصاصك أن تميز أوصاف الحشرات؟ فما لك وللحشرة الزاحفة فأنت وظيفتك مراقبة الأبقار، فحاول أن تخلص رأسك من هذه الحماقة، وإلا شكوتك للمشرف.

وكان دانيال يتقن شيئاً واحداً هو العزف على البوق، وكان كلما عاد من المراعي مساء، تطلب منه النساء والفتيات أن يعزف لهن على البوق ويقلن: اعزف لنا لحن أغنية يا دانيال.

فيلبي طلبهن ويعزف ألحاناً غريبة، كلحن صوت الغابة ورنين النهر وزغردة العصافير، وكان عزفه جميلاً جداً.

وكانت النساء تهتممن بدانيال مقابل عزفه، فمنهن من كانت تصلح له ثيابه الممزقة، وأخرى تخيط له قميصاً جديداً، ومنهن من تقدم له الطعام اللذيذ.

كذلك كان الراعي العجوز يحب ألحان دانيال.

ولكن حتى هذا الأمر لم يكن ينجح تماماً، فما إن يبدأ دانيال العزف حتى

ينسى العجوز كل شيء، فيصحو لنفسه فلا يجد الأبقار، وسبب له هذا العزف في نهاية الأمر مصيبة.

إذ يبدو أن دانيال نسي نفسه وهو يعزف، فنام العجوز وهو يسمع الألحان، فهربت منهما أبقار كثيرة، وعندما أخذا يستعدان للعودة إلى الحظائر، وجدا أنه ينقصهما عدد من الأبقار، فسارعا للبحث عنها، ولكن أين لهما أن يجدا الأبقار الضائعة، فالمنطقة التي كانا يرعيان فيها الأبقار كانت مشهورة بكثرة ذئابها المفترسة، ولم يجدا سوى بقرة واحدة.

فقادا القطيع إلى الحظيرة، وأخبرا الناس ما حدث معهما، فانطلق عدد من الأشخاص من سكان المصانع للبحث عن الأبقار الضائعة.

وكان العقاب معروفاً في ذلك الحين، فكل خطأ كان يعاقب مرتكبه بجلد ظهره، ولسوء حظهما كانت إحدى الأبقار من بيت المشرف، فلا تنتظر الرحمة أبداً هنا.

فتمت معاقبة العجوز أولاً ثم جاء دور دانيال، وكان الصبي نحيلاً جداً، فقال الجلاد: انظروا إليه إنه لن يصمد من ضربة واحدة وربما يموت فوراً.

ورغم ذلك ضربه ضربة ولم ينطق دانيال بكلمة واحدة، فضربه ضربة ثانية وثالثة، ودانيال بقي صامتاً، فاشتد غضب الجلاد فأخذ يجلد دانيال بلا رحمة وقال: سأجلدك أيها الصامت إلى أن تصرخ من الألم.

وكان دانيال يرتجف بكامل جسمه ودموعه تتساقط ولكنه بقي صامتاً، فعض على شفته وقوى نفسه، حتى أغمي عليه ولم يطلق صرخة واحدة، فاستغرب المشرف وقال: يا له من صبور، بت أعرف أين أضعه في حال بقي حياً.

قضى دانيال عدة أيام في فراشه، واعتنت به جدة حكيمة تعالج الناس حتى شفي، فقد كانت هذه العجوز تقوم مقام الطبيب في مناطقنا وكانت مشهورة جداً بمعرفتها لقوة الأعشاب الشافية، فتعرف العشبة التي تزيل ألم الأسنان والتي تزيل ألم الظهر والتي تشفي من مرض ما... وكانت تجمع تلك الأعشاب بنفسها، كل

عشبة في وقت قوتها العلاجية، وكانت تحضر الأدوية والمراهم من تلك الأعشاب.

فقضى دانيال عدة أيام سعيدة عند هذه العجوز الطيبة، فقد كانت لطيفة وتحب التحدث مع الناس، وكانت الأعشاب المجففة من مختلف أصنافها معلقة على جدران الكوخ.

واشتد فضول دانيال ليعرف ما اسم كل نبتة وأين تنبت ؟ وكانت العجوز تشرح له ذلك. ومرة سأل دانيال: هل تعرفين جميع الأزهار في مناطقنا يا جدة؟

لا أتباهى بنفسي... ردت الجدة، ولكن يبدو لي أنني أعرف جميع الأزهار المتفتحة.

وهل هناك أزهار غير متفتحة.

نعم فهناك وردة تتفتح في يوم القديس إيفان، وهي وردة سحرية يكتشفون بواسطتها الكنوز، ولكنها تضر الإنسان، فإن قطفتها تفتح أمامك جميع الأبواب، وهي وردة السارقين.

وهناك الوردة الحجرية، يقال إنها تنبت في جبل الحجر الأخضر، وعندما يأتي عيد الأفعى تكتسب هذه الوردة كامل قوتها، ومسكين الشخص الذي يشاهد الوردة الحجرية.

لماذا هو مسكين يا جدة؟

هذا ما لا أعرفه يا صغيري، فهذا ما رووه لي.

ولم يكن عند دانيال أي مانع من البقاء فترة أطول عند الجدة، ولكن جواسيس المشرف عرفوا أن الصبي عاد يقف على رجليه، وأخبروا المشرف بذلك.

فاستدعى المشرف دانيال وقال له: اذهب الآن إلى العجوز ميخائيل، وتعلم عنده الحرفة، فذلك العمل يناسبك تماماً.

ولم يكن باليد حيلة، فذهب دانيال إلى العجوز ميخائيل ومازال ضعيفاً يترنح في مشيته.

نظر إليه العجوز وقال: ما كان ينقصني إلا تلميذ مثلك، فالصبيان الأصحاء لم يقدروا على تعلم الحرفة، وأنت جئتني مريضاً وتقف على قدميك بصعوبة.

فذهب العجوز إلى المشرف وقال: لست بحاجة إلى تلميذ كهذا، إذ يمكنه أن يموت عندي فأتحمل مسؤوليته.

ولكن المشرف لم ينصت إليه، بل قاطعه وقال: أرسلناه إليك فعلمه بدون نقاش، فهذا الصبي قوي، ولا تنظر إلى نحفه الجسدي.

حسناً كما تشاءون... رد العجوز – سأعلمه ولكنني لست مسؤولاً عن شيء.

لا تخف فهذا الصبي يتيم وليس لديه أحد يلومك على شيء، فافعل به ما شئت... أجاب المشرف.

عاد العجوز ميخائيل إلى منزله، ورأى دانيال يقف بجانب الآلة ويتفحص قطعة من الحجر الأخضر كان عليها نقش، فأخذ دانيال يمعن نظره في هذا النقش ويهز برأسه، فشعر العجوز بالفضول لمعرفة ما الذي جذب اهتمام هذا الصبي الجديد في قطعة الحجر، فسأله بجدية كما كان مطلوباً من المعلم وقال: ما هذا الذي تفعله؟ ومن طلب منك أن تمسك الحجر بيدك؟

فأجابه دانيال: أعتقد يا جدي أن النقش كان يجب أن يحفر على الوجه الآخر من الحجر.

فصاح فيه العجوز: ماذا؟ ومن أنت حتى تعلمني حرفتي؟ ولم يسبق لك أن حفرت حجراً واحداً؟

أنا متأكد أن الحفر بهذه الطريقة يتلف الحجر.

من الذي أتلف الحجر؟ وهل ستعلمني حرفتي أيها الولد وأنا في هذه المنطقة المعلم الأول؟ سوف أعاقبك عقوبة شديدة لن تبقى بعدها حياً.

وظل العجوز يهدد ويصيح فترة من الزمن ودانيال لم يحرك ساكناً، وكان

obeikandi.com

العجوز قد فكر كثيراً من أي جانب يحفر النقش على ذلك الحجر، وقد أصاب دانيال لب الموضوع بحديثه.

وعندما انتهى العجوز من الصياح قال موافقاً: حسناً أيها الحر في الجديد، أرني كيف نفعل بطريقة صحيحة؟

فصار دانيال يعمل ويشرح ما يفعله، ونقش نقشاً جميلاً، فصاح فيه العجوز قائلاً: لا تتباهى كثيراً، فما زلت لا تفهم الكثير، فإن جمعت المعرفة فاحرص على عدم فقدانها.

بينما فكر في نفسه: "نعم إن الصبي يقول الحق، ولا شك أنه سيكون حرفياً ناجحاً، ولكن ما السبيل إلى تعليمه؟ فإذا ضربته مرة فإنه لن يتحمل ذلك بجسمه النحيل".

وبعد أن فكر قليلاً سأل الصبي: ابن من أنت؟

فحكى له دانيال قصته، وأخبر العجوز أنه يتيم، ولا يتذكر أمه ولا يعرف شيئاً عن والده، ومن كان. ولا يعرف اسم عائلته، وحكى كيف عمل خادماً وكيف طردوه فيما بعد، ثم عمل راعي بقر في الصيف، وتعرض للعقاب الشديد.

فأشفق عليه العجوز ميخائيل وقال: أرى أنك أيها الفتى عشت حياة صعبة، وقد أتت بك الأقدار إلي، ومهنتنا صعبة ودقيقة.

ثم ظهر عليه بعض الغضب وقال: حسناً هذا يكفي، يا لك من محب للتحدث، وكل شخص يستطيع أن يعمل بلسانه بدلاً من العمل بيديه. سوف أرى غداً ما الفائدة منك، هيا اجلس وتناول عشاءك ثم اذهب إلى النوم.

وكان العجوز ميخائيل يعيش وحيداً، فقد توفيت زوجته منذ زمن بعيد، وكانت جارته العجوز ماريا تساعده في إدارة أمور منزله، فكانت في الصباح تأتي وتحضر الطعام وتنظف الكوخ، بينما كان العجوز ميخائيل يقوم بأعمال المنزل مساء بنفسه.

obeikandl.com

وبعد أن تناولا طعامهما قال العجوز: استلق هنا على السرير لتنام.

فخلع دانيال حذاءه، ووضع معطفه تحت رأسه، وتكور على نفسه، فقد كان الكوخ بارداً، لأن الجو كان خريفياً، وبعد فترة ذهب في نوم عميق.

كذلك استلقى الجد ميخائيل لينام ولكنه لم يستطع النوم، فلم يتوقف عن التفكير بالحديث حول النقش على الحجر الأخضر، وظل يتقلب في سريره ثم نهض وأشعل شمعة وتوجه إلى آلة نحت الحجر، وأخذ يقيس ويجرب القطعة الحجرية، ومهما فعل كان يكتشف أن الصبي أدرك صحة طريقة النقش بصورة أفضل.

فقال العجوز في نفسه: يا له من صبي، لم أعلمه شيئاً بعد، وهو بدأ يعلم المعلم العجوز. لكم هي دقيقة رؤيته للعمل.

ثم ذهب بهدوء إلى الخزانة وأخرج منها وسادة ومعطفاً كبيراً، ووضع الوسادة تحت رأس الصبي وغطاه بالمعطف. وقال بحنان: نم أيها الذكي.

ولم توقظ هذه الحركة دانيال بل نام على جنبه الآخر، وتغطى بالمعطف وشعر بالدفء.

لم يرزق العجوز بأولاد، فشعر أن دانيال أصبح قريباً من قلبه، فوقف يتأمل الصبي النائم . وصار اهتمامه بأن يعيد الصحة إلى جسم الصبي، ويخلصه من نحفه ومرضه. وقال لنفسه: إن صحته لا تناسب مهنتنا، فالغبار سام ويمكن أن يقتله بسهولة. فلأجعله يرتاح أولاً، وبعد أن يستعيد صحته أبدأ بتعليمه، ولا شك أن تعليمه سيأتي بثماره.

وفي اليوم التالي قال العجوز لدانيال: ستساعدني في البداية في أعمال المنزل، فهذا هو النظام لدي. هل فهمت؟ في البداية اذهب واقطف الثمار لنصنع منها حشواً للفطائر، واحرص على ألا تبتعد كثيراً، واقطف ما استطعت، وخذ معك خبزاً لأن الشهية تزداد في الغابة، ومر على العجوز ماريا، فقد طلبت منها أن تقلي لك قليلاً من البيض وتصب لك الحليب. هل فهمت؟

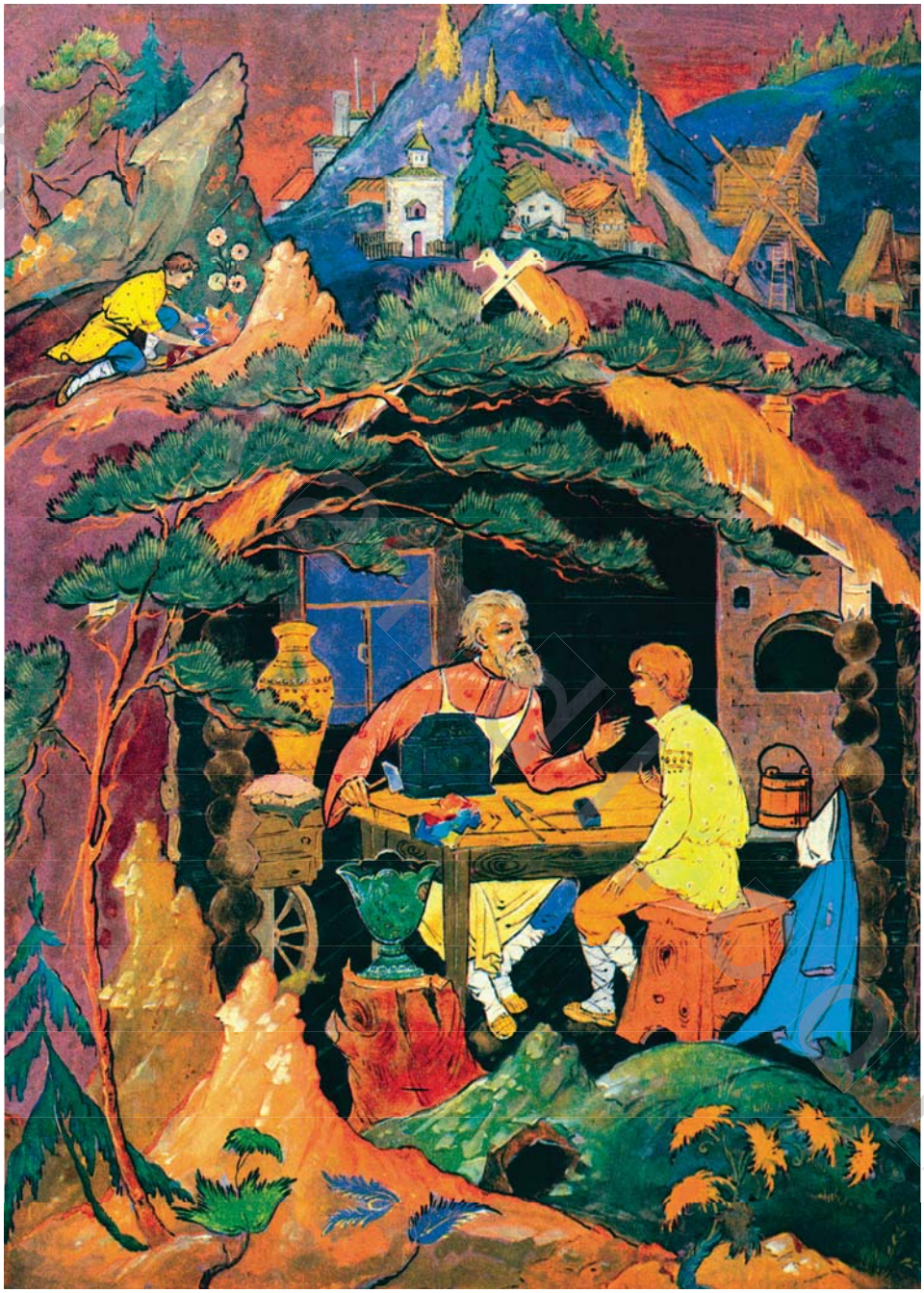

وفي اليوم التالي عاد وقال له ثانية: اذهب وأحضر لي عصفورين غريدين ، وأحضرهما قبل المساء. هل فهمت؟

وعندما أحضر دانيال العصفورين، قال له العجوز: جيد ولكن ليس كثيراً، اذهب وأحضر غيرهما.

واستمر الوضع على هذه الحال، وكان العجوز ميخائيل يعطي لدانيال عملاً كل يوم، وكل الأعمال كانت سهلة .

وعندما تساقط الثلج أمر العجوز دانيال بأن يذهب مع جارهما إلى الغابة لجلب الحطب، وكانت مهمته تنحصر بركوب الحصان في طريق الذهاب وقيادة العربة، والسير خلف العربة في طريق العودة، فكان يقوم بهذه الأعمال ثم يعود إلى البيت ويتناول طعامه وينام.

وأعد له العجوز ملابس شتوية كاملة من حذاء شتوي وملابس وقفازات ومعطف وقبعة، فقد كان العجوز رجلاً ميسوراً، ورغم أنه كان من العبيد إلا أنه كان يعمل أعمالاً إضافية ويكسب مالاً جيداً، وقد أحب دانيال حباً شديداً، وكأنه كان ابناً له، فلم يبخل عليه بشيء، ولكنه لم يسمح له بالاقتراب من العمل قبل أن تتحسن صحته.

وبدأ دانيال يتحسن جيداً عند العجوز، وتعلق بالعجوز كثيراً، وفهم أن العجوز لأول مرة في حياته يعتني بصبي في بيته. وبعد أن ذهب الشتاء، صارت حياة دانيال رغيدة وممتعة، فكان يذهب للسباحة في البركة، ويتنزه في الغابة، ولكنه كان ينظر بين الحين والآخر إلى العمل، وما إن يعود إلى البيت حتى يفتح الأحاديث مع العجوز، فيروي للعجوز ما حدث معه، ثم يسأله عما يعمله وما الغاية وكيف ولماذا، فيشرح له العجوز ويريه عملياً. وكان دانيال يحفظ كل شيء جيداً، وبدأ يطلب من العجوز:"دعني أجرب أنا"، فيسمح له العجوز بالعمل ويصحح له أخطاءه وينصحه بالطريقة الأفضل.

ومرة شاهد المشرف دانيال يسبح في البركة. فسأل مساعديه: لمن هذا الصبي؟

obeikandl.com

صار لي عدة أيام أراه يلعب في البركة؟ ويذهب للصيد والنزهة في أيام العمل، ولم يعد صغيراً، فأحد ما يخبئه عن العمل.

وجاء المساعدون بالمعلومات إلى المشرف فلم يصدق أذنيه، وأمر قائلاً: هيا اجلبوا لي هذا الصبي وسأعرف الحقيقة بنفسي.

فأحضر المساعدون دانيال، وسأله المشرف: لمن أنت؟

فأجاب دانيال: إنني تلميذ عند الحرفي العجوز الذي يعمل على الحجر الأخضر.

فأمسكه المشرف من أذنه وقال: وهل هذه هي الطريقة التي تدرس بها... وشده من أذنه وأخذه إلى العجوز.

فرأى العجوز أن الأمر ليس على ما يرام وأخذ يدافع عن دانيال فقال: أنا الذي أرسلته لاصطياد السمك، لأنني أشتاق كثيراً لأكل السمك، ولأن صحتي سيئة فلا أستطيع تناول طعام آخر، ولهذا أمرت الصبي باصطياد السمك.

فلم يصدق المشرف، وأدرك أن دانيال قد تغير واسترجع صحته، ويرتدي ثياباً نظيفة. فبدأ يجرب دانيال وقال: هيا أرني ما الذي علمك إياه المعلم العجوز؟

فارتدى دانيال المئزر واقترب من الآلة وبدأ يشرح ويوضح للمشرف. وكل ما يسأله المشرف يجيب عليه. فشرح له كيف يعالج الحجر وكيف ينشره وكيف يلصقه وكيف يزرع فيه النحاس وكيف يضع فيه الخشب، وبقي المشرف يستجوب دانيال وأخيراً قال للعجوز: أرى أن هذا الصبي مناسب للعمل تماماً.

لا أشكو منه... رد العجوز.

حسناً إنك لا تشكو ولكنك تدلله، وقد أعطيناك إياه لتعلمه الحرفة، بينما هو يقضي وقته في البركة يصطاد. فاحرص على ألا أعاقبك، لأنك لن تنسى عقابي حتى تموت، ولن يبقى الصبي بلا عقاب أيضاً.

ثم غادر المشرف بعد أن نطق بتهديده، بينما قال العجوز مندهشاً: متى تعلمت كل ذلك يا دانيال؟ فأنا لم أعلمك شيئاً بعد.

هل نسيت أنك كنت تشرح لي كل ما أسألك عنه وأنا كنت أحفظ كل ذلك.

فسالت الدموع من عيني العجوز لشدة فرحه بما سمعه. وقال: يا بني .. يا حبيبي... سوف أعلمك كل ما أعرفه... ولن أخبئ عنك شيئاً.... ولكن منذ الحين لم يعد عند دانيال وقت فراغ للمرح واللعب.

فقد أرسل المشرف وراءه في اليوم التالي وصار يعطيه كمية محددة من العمل اليومي. في البداية كان العمل بسيطاً، كأن يصنع صناديق نسائية صغيرة للمجوهرات ثم الشمعدانات ثم مختلف أنواع الزينة والمجوهرات، ثم النقش والنحت، ومن ثم الأوراق والأزهار المختلفة.

فعمل حرفيي الحجر الأخضر عمل دقيق للغاية ، إذ يبدو أن المنتج بسيط ولكنه يستحوذ على وقت طويل لإنهائه. وهكذا كبر دانيال وهو يعمل في هذه الحرفة.

وعندما نحت أسوارة على شكل أفعى من الحجر، اعترف به الجميع كحرفي حقيقي.

وكتب المشرف للإقطاعي قائلاً: "لقد ظهر لدينا حرفي جديد يعمل في الحجر الأخضر يدعى دانيال، وهو يعمل جيداً، ولكنه ما زال شاباً صغيراً، فهل تأمرني بإبقائه يعمل كمية نحددها نحن من العمل، أو نجعله كالعجوز ميخائيل يحصل مقابل إنتاجه؟".

ولم يكن دانيال يعمل بهدوء بل عمل بسرعة ومهارة، فكان المشرف يعطيه عملاً ويحدد خمسة أيام لإنهاء العمل، فيعترض العجوز بأن خمسة أيام غير كافية، ويقول: هذا غير ممكن، فعمل كهذا يتطلب نصف شهر، والفتى ما يزال تلميذاً، فإن استعجل أتلف الحجر.

فيتناقشان فترة ثم يقبل المشرف ويزيد عدد الأيام قليلاً، فيعمل دانيال دون

عجلة وبارتياح. واستطاع دانيال أن يتعلم في وقت فراغه الكتابة والقراءة، وكان العجوز يشجعه على ذلك، فقد كان يتقن الكتابة والقراءة قليلاً.

وكان العجوز أحياناً يحاول أن يخفف العبء عن دانيال فيقوم ببعض مهامه التي يعطيها له المشرف، ولكن دانيال لم يكن يقبل ذلك وكان يقول: لا .. لا يا جدي، فليس من مهامك أن تقوم بعمل عني، انظر إلى لحيتك فقد أصبحت خضراء من غبار الحجر الأخضر، وصحتك ضعيفة، وأنا لن يضرني العمل بشيء.

وكان دانيال قد استرجع صحته تماماً حتى ذلك الحين وصار طويل القامة جميل الوجه وشعره أجعد جميلاً وطبعه مرحاً، وكانت الفتيات كلهن تستلطفنه، وصار العجوز يفتح لدانيال موضوع الزواج، ولكن دانيال كان يرفض ويقول: لا .. لم يحن الوقت بعد، فعندما أصبح حرفياً حقيقياً نتحدث بالموضوع.

وأمر الإقطاعي مشرفه بأن يأمر دانيال تلميذ ميخائيل بأن يصنع له آنية لمنزله، وبعدها سيرى إن كان سيحوله إلى الإنتاج الحر أو يبقيه على المقدار اليومي من العمل. وكتب للمشرف يقول: احرص على ألا يقوم العجوز بالعمل بدلاً عن تلميذه. فإن لم تنتبه لذلك سأعاقبك أنت".

استلم المشرف الرسالة، واستدعى دانيال وقال: سوف تعمل لدي هنا، وسيضعون لك آلة وأجلب لك الكمية التي تحتاجها من الحجر.

فعرف العجوز بالأمر وحزن كثيراً واستغرب: "لم ذلك؟"، فذهب إلى المشرف يستفسر، فصاح المشرف في وجهه قائلاً: "هذا ليس من شأنك".

وهكذا ذهب دانيال للعمل في المكان الجديد، فأوصاه العجوز قائلاً: احرص يا دانيال ألا تسرع وتكشف نفسك وقدراتك.

فحاول دانيال أن يكون حريصاً في البداية، فكان يقيس الحجر طويلاً ويعالجه ببطء، ولكنه شعر بالملل في النهاية، فسواء عمل أو لا فإن الفترة التي سيقضيها عند

المشرف هي نفسها، فعمل دانيال من شدة الملل بأقصى سرعته، فصنع الآنية الأولى بسرعة مدهشة. فنظر المشرف وقال: اصنع واحدة أخرى.

فصنع دانيال آنية أخرى. وأمره المشرف بصنع الثالثة، فقال له المشرف: لن تخدعني بعد اليوم، فقد اكتشفت كذبكما أنت والعجوز. فقد أمرك الإقطاعي بصنع آنية واحدة خلال هذه الفترة بينما أنت صنعت ثلاث أوان. وبت أعرف قدرتك الآن، ولن تستطيع خداعي ثانية، وسوف أعاقب ذلك العجوز الخبيث.

فكتب للإقطاعي رسالة شرح فيها الأمر وأرسل إليه الأواني الثلاث، ولكن الإقطاعي كان في مزاج جيد وكان غير راضٍ عن المشرف، فقلب النتيجة كلها بالعكس.

فحدد كمية العمل الخاصة بدانيال بسيطة جداً، وأمر بإبقائه عند العجوز، لربما يبتكران شيئاً جديداً سوية، وأرسل مع الرسالة صورة مرسومة لآنية مزينة بالنقوش، وكتب الإقطاعي في أسفل الصورة: دعه يعمل عليها قدر ما يحتاج ولو استمر العمل خمس سنوات ولكنني أريدها تماماً كهذه.

فاضطر المشرف أن يرضخ ويتراجع عن كلمته وأعلن أن الإقطاعي أمر في رسالته بإعادة دانيال إلى العجوز وسلمه صورة الآنية.

فرح دانيال والعجوز وسار عملهما بشكل أفضل. وبعد فترة باشر دانيال العمل في صنع تلك الآنية، وكان فيها الكثير من النقوش الدقيقة والماهرة، فإن أخطأت مرة أتلفت القطعة وتضطر للبدء من البداية، لكن عين دانيال كانت دقيقة ويده شجاعة وقوته كافية، فسار العمل جيداً.

ولكن ما لم يعجبه في صورة هذه الآنية أن نقوشها صعبة الصنع وجمالها قليل، وكان يشكو للعجوز هذا الأمر، فيجيبه العجوز قائلاً: وما لك أنت؟ هم صمموا هذا الرسم لغاية في نفسهم، وذلك يعني أنهم بحاجته. فقد صنعت الكثير من التحف والأشياء ولا أعرف غايتها .

فحاول دانيال أن يتحدث مع المشرف، فعلى صراخ المشرف وقال: هل جننت؟ لقد

دفع الإقطاعي مبلغاً كبيراً من المال مقابل هذه الصورة. وربما يكون راسمها هو الرسام الأول في المدينة، فكيف تتجرأ على مناقشة الصورة.

ثم تذكر المشرف أن الإقطاعي قال له:"ربما يبتكران سوية شيئا أفضل"، وقال: اسمع.. اصنع هذه الآنية كما طلبها الإقطاعي، ثم اصنع واحدة أخرى كما تريدها أنت، ولن أمنعك عن فعل ذلك، فالحجر الأخضر كثير لدينا، وسأعطيك الحجر الذي تطلبه.

وهنا غرق دانيال في التفكير، وتذكر المقولة الشعبية التي تقول إن انتقاد عمل الغير أمر سهل جداً، بينما القيام بالعمل صعب، وبقي دانيال يتقلب عدة ليال في فراشه وهو يفكر بآنيته. وجلس يكمل صناعة آنية الإقطاعي، بينما في عقله يفكر بآنيته. فيقلب في مخيلته أي وردة ينحت عليها وكيف هو شكل الأوراق، فغرق في التفكير واختفى مرحه، فلاحظ العجوز ذلك وسأله: هل أنت مريض يا دانيال؟ لا ترهق نفسك كثيراً مع هذه الآنية. لماذا تسرع؟ اذهب للنزهة قليلاً إلى الغابة، وأنا يمكنني أن أتابع العمل هنا.

ومنذ ذلك الحين صار دانيال يذهب إلى الغابة يومياً، وكانت الفترة فترة حصاد، والأعشاب كلها متوفرة والأزهار مزهرة، وكان دانيال يقف ويتأمل الأوراق والأزهار والأشجار. وكان الناس يعملون في تلك الفترة في الحقول، فيسألون دانيال إن كان قد أضاع شيئاً؟ فكان يبتسم ابتسامة حزينة ويجيب: أضعت ولم أضع ولا أستطيع العثور عليه..... فكان البعض يقول: إن حال الفتى سيئة.

وكان ما إن يأتي إلى الكوخ حتى يقف خلف الآلة حتى الصباح، وما إن تشرق الشمس حتى يسرع ثانية إلى الغابة إلى حقول ومزارع الحصاد. وصار يجلب أنواعاً من الأوراق والأزهار إلى الكوخ، فازداد نحفاً وهماً وقلقاً، وفقد شجاعة يديه.

فأصاب القلق العجوز واستفسر عن سبب كل ذلك، فأجابه دانيال: إن الآنية لا تتركني دقيقة لأرتاح، فأنا أفكر بها ليلَ نهار، ورغبتي الشديدة في أن أصنعها بحيث يكتسب الحجر كل قوته.

فأخذ العجوز يثنيه عن قراره، ويقول: ما الداعي لتجعلها بهذا الإتقان؟ فنحن نأكل ونشرب حتى الشبع، فليتسلَ السادة كيفما شاءوا، فإن ابتكروا نقشاً نحتناه لهم، فلم نعرض عليهم أفكارنا؟ فذلك سيلبسنا قيداً جديداً.

ولكن دانيال أصر على رأيه وقال: إنني لا أبذل جهدي من أجل السيد، بل لا أستطيع أن أخرج تلك الآنية من رأسي. فأنت ترى كم هو جيد الحجر الذي لدينا في حين أننا لا نصنع منه أفضل ما يمكن، وقد رغبت بشدة أن أصنع آنية يكتسب فيها الحجر كل قوته، لأنني أردت أن أراها بنفسي وأجعل الناس يرونها.

ثم عاد دانيال إلى الآلة وعاد لصنع الآنية وفق مخطط الإقطاعي، وهو يسخر من هذا الرسم ويقول: يا لهذا الشريط الحجري ذي الثقوب...

ثم أبعد هذه الآنية بعيداً، وأخذ يعمل على آنيته، وهو يقف خلف الآلة دون راحة. وقال للعجوز: سوف أصنع آنيتي وفق صورة الوردة السحرية.

فأخذ العجوز يثنيه عن رأيه، وكان دانيال يرفض الاستماع إليه في البداية، ومن ثم وبعد مرور ثلاثة أيام وبعد أن أخطأ قليلاً في عمله، قال للعجوز: حسناً سوف أنهي آنية الإقطاعي أولاً، ثم أباشر في صنع آنيتي. ولكنك لا تثنيني بعدها... فلا أستطيع التوقف عن التفكير بها وتخيلها.

فرد العجوز: حسناً لن أزعجك عندها... وفكر بينه وبين نفسه: سوف يتعب من العمل وينسى نيته، علي بتزويجه، فتتبخر التفاهات من رأسه ما إن تصبح لديه أسرة.

وانهمك دانيال في صنع الآنية، وكانت تتطلب عملاً كثيراً ولا تكفيها سنة واحدة، ولكنه كان يعمل بجد، ولا يتحدث حول الوردة السحرية.

وبدأ العجوز يفتح أمامه موضوع الزواج ويقول: انظر إلى كاترينا أليست عروساً جميلة؟ وهي فتاة جيدة كاملة في أوصافها وأخلاقها.

وكان العجوز قد لاحظ منذ فترة أن دانيال معجب بهذه الفتاة، وهي أيضاً كانت تبادله الإعجاب، ففتح العجوز الحديث وكأنه صدفة، ولكن دانيال أصر على رأيه وقال: انتظر حتى أنتهي من الآنية، فقد مللت منها، حتى أصبحت راغباً بكسرها، فكيف تحدثني عن الزواج وأنا بهذه الحالة. لقد اتفقت مع كاترينا، ووعدت أن تنتظرني.

وأخيراً انتهى دانيال من إنجاز الآنية التي طلبها الإقطاعي ووفق المخطط الذي رسمه الإقطاعي. وقرر دانيال والعجوز أن يقيما حفلة صغيرة في الكوخ قبل أن يخبرا المشرف.

فحضرت كاترينا العروس مع والديها، وبعض من صناع الحجر الأخضر. فنظرت كاترينا إلى الآنية وقالت: كيف استطعت أن تنحت نحتاً كهذا من الحجر دون أن تضر بحوافه، كم هذا العمل دقيق ونظيف.

واستحسن الحرفيون العمل أيضاً وقالوا: إن الآنية تماماً كما في الصورة، كما أنك أنجزتها في وقت سريع، فإذا تابعت العمل بهذه الطريقة فلن يكون بمقدور أي منا اللحاق بك.

فاستمع دانيال إليهم وقال: هذا ما يزعجني في الأمر، فكل شيء نظيف ودقيق، والنقش دقيق والنحت صحيح، كل شيء حسب الصورة، ولكن أين الجمال في هذه الآنية؟ انظروا إلى أصغر وأبسط وردة، فتشعر أنها تفرح قلبك، بينما هذه الآنية من ستفرح؟ فأي شخص سينظر إليها سيعبر بنفس الطريقة التي عبرت بها عزيزتي كاترينا، فقد تأملتها ومدحت عين ويد الحرفي الذي صنعها، ودهشت لصبره الطويل بحيث لم يكسر أي طرف من الآنية.

فضحك الحرفيون وقالوا: نعم وحيث كسرت أو أخطأت فبمقدورك أن تلصق الحجر وتستر العيب، ولن يكتشف ذلك أحد.

صحيح.. ولكن أين جمال الحجر؟ فهذه الصورة أين الجمال فيها. إننا نتلف الحجر بهذه الطريقة، وهذا الحجر من الصنف الأول.

obeikandl.com

وزاد انزعاج دانيال ويبدو أنه شرب قليلاً من النبيذ، فكرر الحرفيون على مسمعه ما قاله له العجوز ميخائيل مراراً: إن الحجر حجر ولا يمكننا أن نفعل به شيئاً غير نحته ونقشه وتقطيعه.

وصادف حضور عجوز كهل بين المجموعة، وهو الذي علم في زمانه العجوز ميخائيل وأصدقاءه الحرفيين، والجميع كان يدعوه بالجد.

وكان عجوزاً هشاً، ولكنه فهم الحديث وقال لدانيال: يا ولدي العزيز تخلص من هذه الأفكار ولا تمش في هذا الطريق ، وإلا وقعت في أسر سيدة الجبل النحاسي وأصبحت من صناعها...

أي صناع يا جدي؟

هناك صناع يعيشون في الجبل لم يرهم أحد... وكل ما تحتاجه السيدة يفعلونه، وقد صدف لي مرة أن رأيت عملهم وكان مختلفاً عن عملنا.

فاشتد فضول الجميع لسماع القصة، فأخذوا يسألونه عن المنحوتات التي رآها. فقال: قد رأيت أفعى كالتي تنحتونها أسوارة. وكيف هي؟

إن هذا العمل كان مختلفاً عن أي عمل محلي، وبمقدور أي حرفي أن يرى الفرق مباشرة وسيقول إنه ليس من العمل المحلي. فالأفعى التي ينحتها الحرفيون المحليون تبدو حجرية، بينما الأفعى التي ينحتها صناع سيدة الجبل تبدو حية، فعلى ظهرها خيط أسود ولها عينان خضراوان...

وما إن سمع دانيال قصة الوردة الحجرية، حتى صار يسأل عنها الجد العجوز، فأجابه الجد قائلاً: لا أعرف يا بني، سمعت أنه توجد وردة كهذه، ولا يجوز أن يراها أحد من جماعتنا من الحرفيين، فالذي يراها يصبح ضوء النهار عاجزاً عن إسعاده.

فرد دانيال: يا ليتني أرى هذه الوردة.

فازداد قلق كاترينا وقالت: لا.. لا.. يا دانيال، هل مللت من ضوء النهار؟... وأخذت تبكي.

فأدرك العجوز والحرفيون الآخرون الموقف، وصاروا يسخرون من الجد العجوز، قائلين: لا شك أنك فقدت عقلك يا جدنا، وصرت تحكي لنا الحكايات. لماذا تحرف الشاب عن الطريق القويم.

فانزعج الجد وضرب الطاولة بكفه وصاح: هذه الوردة موجودة، والشاب يقول الحقيقة، فنحن لا نعالج الحجر بطريقة صحيحة، ففي تلك الوردة الجمال كله مخفي. فضحك الصناع وقالوا: لا شك أنك شربت زيادة من النبيذ أيها الجد.

فأصر الجد على أقواله: إن الوردة الحجرية موجودة.

ثم تفرق الضيوف، ولم يبرح هذا الحديث تفكير دانيال، فصار يعود مراراً إلى الغابة ويتنزه بجانب الوردة السحرية، وقد نسي العرس تماماً. فصار العجوز ميخائيل يذكره بواجبه ويقول: لماذا تجعل الفتاة سخرية في المنطقة؟ كم عاماً صار لها تنتظرك وهي عروسك؟ وقريباً سيبدأ الجميع بالسخرية منها.

في حين ظل دانيال يردد قوله: انتظر قليلاً، حتى أجد الحجر المناسب.

وصار من عادته الذهاب إلى المنجم الحجري، وكان كلما نزل إلى المنجم يدور في دهاليز الجبل كلها، ثم ينتقي الحجارة في الأعلى.

ومرة أمسك بحجر وقلبه في يده، وقال: لا.. ليس هذا... وما إن قال ذلك حتى سمع صوتاً يقول: ابحث في مكان آخر... عند قمة الأفعى.

فنظر دانيال حوله ولم يجد أحداً، وتساءل عمن كان ذلك؟ وهل يعقل أن يمزح معه أحد هنا، ولكن ليس في المكان أي زاوية للاختباء، فنظر حوله ثانية ثم عاد إلى الكوخ، ولكنه سمع صوتاً خلفه يقول: هل سمعتني أيها الحر في دانيال؟ أقول لك ابحث عند قمة الأفعى.

فالتفت دانيال خلفه، فرأى امرأة كالضباب مرئية بصعوبة، ثم اختفى كل شيء، ففكر دانيال في نفسه:"ما هذه المزحة.. أيعقل أن تكون هي نفسها سيدة الجبل النحاسي؟ وماذا سيحدث إن ذهبت إلى قمة الأفعى؟".

obeikandl.com

وكان دانيال يعرف قمة الأفعى جيداً، فقد كانت قريبة من منطقة المناجم، وهي غير موجودة الآن فقد حفروها كلها، بينما في السابق كانوا يستخرجون الحجر من أعلاها.

وفي اليوم التالي توجه دانيال إلى مكان القمة، وكانت طلعة الجبل منحدرة رغم صغرها. و كانت من إحدى جهاتها وكأنها قطعت قطعاً، والمنظر من هنا كان مثالياً، فكل طبقات الجبل مرئية.

فاقترب دانيال من منطقة الشق ورأى فيه حجراً أخضرَ كبيراً لا يمكنك حمله باليدين، ومصنوع على شكل حشائش. فصار دانيال يتفحص ما وجده، وكان كل شيء فيه كما يريده، فاللون في الأسفل أغمق، والعروق في أماكنها المطلوبة. فرح دانيال وأسرع لإحضار الفرس، وعندما جلب الحجر إلى المنزل، قال للعجوز ميخائيل: انظر إلى هذا الحجر يا جدي. فالآن سأنجز ما أردت ثم أتزوج فوراً. لا شك أن كاترينا طال انتظارها، وأنا أيضاً لست مرتاحاً، فهذا العمل وحده كان يعيقني، وسأحاول إنجازه سريعاً.

وبدأ دانيال ينحت ذلك الحجر، وغرق في العمل ليل نهار، وبقي العجوز صامتاً يأمل أن يهدأ دانيال عندما يمل من العمل، وسار العمل سريعاً، فأنجز أسفل الحجر، فظهر تماماً كالوردة السحرية، ثم نحت الأوراق العريضة، وكل ذلك تم بأفضل ما يمكن، وكان العجوز يقول إنها وردة حية ترغب بلمسها، وعندما وصل إلى أعلى النبتة وجاء دور الزهرة رأى أن ساق النبتة الحقيقية رفيعة جداً والأوراق حولها ناعمة ودقيقة والزهرة فوقها كبيرة، وعليه أن يصنعها تماماً كما هي عليه في الحقيقة وإلا لن تكون شبيهة بالنبتة الحقيقية، فجفاه النوم تماماً، وبعد انتهى من النحت جلس يفكر بدقائق الأمور التي عليه تصحيحها، وكان العجوز ميخائيل والحرفيون الآخرون يستغربون ويتساءلون:"ماذا يريد أكثر من ذلك إنها كاملة؟".

وظنوا أن الشاب مريض ويجب علاجه، فسمعت كاترينا بحديث الناس وأخذت تبكي، فأعادت دموعها إلى دانيال رشده، وقال:

حسناً.. سأتوقف هنا. يبدو أنني لن أرتفع فوق هذا المستوى ولن أعرف قوة الحجر...

وبدأ يعجل بإقامة العرس، ولمَ العجلة طالما أن العروس قد جهزت كل شيء منذ زمن؟ فحددوا يوم العرس، وعاد الفرح إلى دانيال، فأخبر المشرف بالآنية التي على شكل الوردة السحرية، فحضر المشرف وفوجئ بجمال الآنية وأراد أخذها مباشرة إلى الإقطاعي، ولكن دانيال قال له: انتظر هناك إضافة صغيرة سأجريها.

وكان الوقت فصل خريف، وصادف موعد العرس قريباً من عيد الأفعى. فقال أحد الأشخاص أنه قريباً من عيد الأفعى سيجتمع الجميع في مكان واحد.

فانتبه دانيال لهذا الكلام، وتذكر ثانية الأحاديث التي دارت حول الوردة من الحجر الأخضر، فشعر برغبة شديدة تشده وقال في نفسه: "ليتني أذهب آخر مرة إلى قمة الأفعى، فربما أعرف شيئاً جديداً هناك".

وتذكر الحجر وقال:"لقد بدا وكأنه وضع قصداً هناك، وسمعت صوتاً في المنجم ذكر لي قمة الأفعى".

وهكذا ذهب دانيال باتجاه قمة الأفعى، وبدأت الأرض تبرد، فاقترب دانيال من الشق الجبلي، حيث أخذ الحجر، فنظر ورأى في ذلك المكان حفرة كبيرة وكأنما تم أخذ حجر منها حديثاً، فلم يفكر دانيال بالشخص الذي كسر الحجر واستخرجه، وقال لنفسه: "دعني أجلس قليلاً وأرتاح، فالجو أدفأ هنا".

ورأى عند الجدار حجراً رمادياً يشبه الكرسي، فجلس دانيال عليه، وغرق في التفكير وهو ينظر إلى الأرض، ولا تبرح تلك الوردة مخيلته". وفجأة انتشر الدفء وكأن الصيف عاد، فرفع دانيال رأسه، ورأى في الجهة المقابلة عند الجدار سيدة الجبل النحاسي جالسة.

فعرفها دانيال فوراً من جمالها وثوبها من الحجر الأخضر. ولكنه فكر في نفسه:"ربما أتخيل كل ذلك، وفي الحقيقة لا أحد غيري هنا".

فجلس صامتاً ينظر إلى مكان جلوس السيدة، وكأنما لا يرى شيئاً، وبقيت هي أيضاً صامتة، وكأنما جلست تفكر. ثم سألته: حسناً يا معلم دانيال، لم تنجح آنيتك التي على شكل الوردة السحرية، أليس كذلك؟

نعم لم تنجح... أجاب دانيال.

لا تيأس، حاول أن تصنع واحدة أخرى، وسيكون لديك الحجر الذي تريد.

لا... أجاب دانيال – لا أستطيع أكثر، فقد تعبت كثيراً. اسمحي لي برؤية الوردة الحجرية.

إن هذا الأمر بسيط جداً، ولكنك ستندم عليه كثيراً.

لن تتركيني أغادر الجبل أليس كذلك؟

بل العكس تماماً، ولكنك ستعود بنفسك، فالآخرون عادوا بأنفسهم إلي.

دعيني أرها أرجوك. فبقيت تثنيه بعض الوقت قائلة: ربما تحاول قليلاً بعد، فقد آواك العجوز وأشفق عليك والآن جاء دورك لتشفق عليه، وفتاتك تحبك حباً كبيراً، بينما أنت لا ترى كل ذلك.

أعرف كل ذلك... صاح دانيال – ولكنني لا أستطيع العيش بدون رؤية الوردة، فدعيني أراها.

طالما الأمر كذلك فلنذهب يا معلم دانيال إلى حديقتي.

قالت ذلك ونهضت، فعصفت الريح واهتزت الأرض، ونظر دانيال حوله ولم ير أي جدران، بل أحاطت به أشجار عالية حجرية ومرمرية ومن الأحجار الكريمة الأخرى، ولكنها تبدو كالأحجار الحية، ولها أوراق وأغصان، تهتز مع الريح، والأعشاب فوق الأرض حجرية ومن مختلف الأحجار والألوان، والشمس غير مرئية، بينما نورها موجود، وكأنك قبل الغروب، وبين الأشجار تزحف أفاعٍ صغيرة ذهبية اللون يصدر عنها الضوء.

فقادت السيدة دانيال إلى مرج كبير، وكانت الأرض تشبه الطين العادي، والأحراش فوقها سوداء كالمخمل، وعلقت فوقها أجراس كبيرة من الحجر الأخضر وداخل كل حجر نجمة، وتلمع النحلات النارية فوق الأزهار، وترن النجوم رنيناً هادئاً وكأنها تغني.

حسناً يا معلم دانيال، هل رأيت كل هذا؟... سألت السيدة.

لن تجدي حجراً لتصنعيه بهذا الشكل... أجاب دانيال.

لو أنك ابتكرت ذلك بنفسك لأعطيتك الحجر، بينما الآن لن أعطيك.

وعاد دانيال بلمح البصر إلى الحفرة التي كان جالساً فيها، وعاد الجو الخريفي برياحه وضجيجه.

عاد دانيال إلى الكوخ، وكان في نفس اليوم تقام سهرة عند عروسه، وحاول دانيال أن يبدو سعيداً في البداية، وغنى ورقص، ثم غمره الحزن والغم.

فخافت العروس وقالت: ما بك يا دانيال؟ وكأنك في جنازة.

فقال لها: أشعر بألم شديد في رأسي، وعيناي لا تريان إلا اللون الأسود الممزوج بالأخضر والأحمر، ولا أرى النور.

وعند هذا الحد انتهت السهرة، فذهبت العروس وصديقاتها وفق العادات الشعبية لإيصال العريس إلى منزله، وكانت المنازل قريبة من بعضها. فقالت كاترينا: لنذهب يا صديقاتي بطريق دائري، فنقطع شارعنا حتى نهايته، ثم نعود من شارع آخر. وفكرت في نفسها:"ستلفح الريح دانيال فربما يرتاح".

وكانت صديقاتها سعيدات للغاية، وقلن: نعم علينا بتوديعه، فمنزله قريب جداً، ولم نغن له أغنية طويلة.

وكانت الليلة هادئة والثلج يتساقط، والوقت مناسباً للنزهة تماماً. فساروا جميعاً، العريس والعروس في المقدمة، وصديقات العروس خلفهما وخلف الجميع

الشبان العزاب الذين حضروا السهرة. وغنت الفتيات أغنية الوداع، وكانت الأغنية طويلة وحزينة، فرأت كاترينا أنه لا داعي لهذه الأغنية وقالت: "إن دانيال حزين دون أن نغني له هذه الأغنية الحزينة".

وحاولت أن تسري الهم عن دانيال وتجعله يفكر بأمور أخرى، فاندمج بالحديث ومن ثم عاد إلى حزنه. وكانت صديقات كاترينا قد انتهين من الأغنية الحزينة وبدأن بالأغاني السعيدة، وهن يضحكن ويركضن ويرقصن، بينما دانيال حزين يسير خافضاً رأسه. ومهما حاولت كاترينا أن تفرحه لم تفلح في ذلك. وهكذا وصلوا إلى كوخ دانيال، وبدأت الصديقات والعزاب يتفرقون، وودع دانيال حبيبته حتى منزلها وعاد إلى الكوخ، ثم أشعل النار بهدوء، وأخرج الآنيتين إلى وسط الغرفة ووقف يتفحصهما. وفي نفس اللحظة أصابت العجوز ميخائيل نوبة سعال، فقد أصبح هرماً ومريضاً، فشعر دانيال وكأن سعال العجوز جرحه جرح السكين، وتذكر حياته التي عاشها كلها، فشعر بأسف شديد على العجوز.

فاستيقظ العجوز وسأل: ماذا ستفعل بالآنيتين؟

كنت أنظر إن آن الأوان لتسليمهما.

قد آن منذ زمن بعيد، فإنهما تحتلان مساحة عبثاً، ولن تصنع أفضل منهما.

فتحدثا قليلاً، ثم عاد العجوز إلى النوم. واستلقى دانيال ولكنه لم يستطع النوم، فتقلب من جانب إلى آخر، ثم نهض ثانية وأشعل النار، ونظر إلى الآنيتين، ثم اقترب من العجوز، ووقف قليلاً فوق رأسه وتنهد...

ثم أخذ المطرقة وكسر آنية الوردة السحرية، أما الآنية التي طلبها الإقطاعي فلم يمسها بسوء، ومنذ ذلك الحين لم ير أحد دانيال ولم يستطيعوا إيجاده.

فقال البعض إنه فقد عقله، وآخرون قالوا إنه مات في الغابة، وقال آخرون أن سيدة الجبل النحاسي جعلته واحداً من صناعها المهرة.

ولكن الواقع كان مختلفاً، وسنعرفه في القصة القادمة.

obeikandl.com